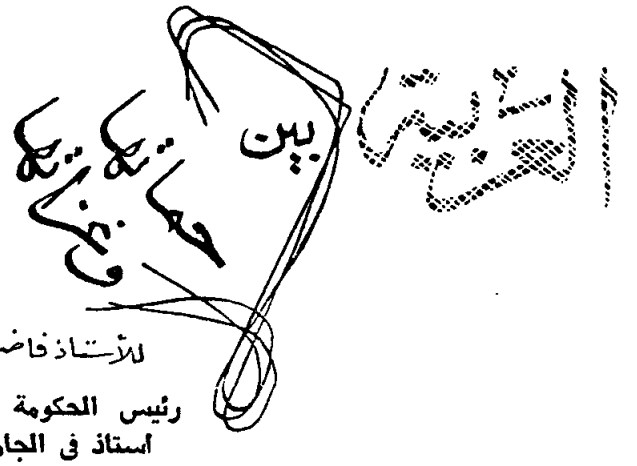

للأستاذ فاضل الجمالي
رئيس الحكومة العراقية سابقا
أستاذ في الجامعة التونسية

نص محاضرة قيمة القاها حضرة الاستاذ الجليل فاضل الجمالي في العاصمة التونسية وقد اتحفنا جنابه بها فننشرها شاكرين .

اني لست من علماء العربية ولا من ادبائها كما اني لست من الاختصاصيين في علم اللغات . وما انا سوى عامل بسيط في حقل الثقافة والتعليم اعتبر نفسي خادما امينا وجنديا مخلصا من جنود العربية ليس اكثر . وما سابديه هو ثمرة اختبارات واجتهادات شخصية في الحقول الاجتماعية والسياسية والتعليمية وهي الحقول التي عشت فيها وعملت . ولذلك فما سابديه هو عرضة للنقد والتعليق واكون ممتنا لكل من يتناولني بالنقد البناء والارشاد السديد .

واذا ابديت بعض الملاحظات عن سير العربية في بلاد المغرب العربي الكبير فلا يعني ذلك عدم تقديري للمصاعب الجسيمة التي خلفها الاستعمار لاقطار المغرب العربي الكبير في حقل اللغة العربية . كما لا يعني نكراني الجهود المحمودة التي يقوم بها اولو الامر في هذه الاقطار في سبيل احياء العربية وانعاشها . وانما (وهذا هو المهم) لاني اعتبر نفسي واحدا من ابناء المغرب العربي الكبير واتحدث كمواطن يريد لابناء قومه المزيد من العزة والتقدم ولاسيما في الحقل الثقافي والقومي .

واذا ما دعوت الى العناية بالعربية واحلالها المحل اللائق بها في حياتنا القومية فلا اريد بذلك الانقاص من اهتمامنا باللغات الاجنبية التي اعتبر العناية بها ضرورة حياتية بالنسبة لنا كأمة تسير في طريق النهوض والقضاء على التخلف . فالعالم المتمدن اليوم يؤكد على اضافة لغتين اجنبيتين على الاقل الى اللغة الام. هذه هي النزعة الجديدة الناشئة عن تقلص المسافات بين الشعوب وعن الترابط المتزايد بين الامم في الحقول السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية . فاذا دعوت الى احلال العربية محلها اللائق بها في الحياة القومية ولاسيما في معاهد التعليم كما سترون فلا اعني بذلك تقليل الاهتمام بالافرنسية او الانكليزية او غيرهما من اللغات . وانما اقول ان اي اهتمام باللغات الاجنبية لا يجوز ان يكون على حساب العربية وبنسبة القصور اليها كما يحاول البعض ان يبرر . انا اؤمن بسياسة المراحل التي يتزعمها فخامة الرئيس الجليل الحبيب بورقيبة في موضوع التعريب واحلال العربية محلها الطبيعي في التعليم ومع الاخذ بهذه السياسة وعلى ضوئها ادعو : الى احلال العربية محلها اللائق بها في حياتنا اليومية وفي ثقافتنا وفي المعاهد التعليمية على اختلاف انواعها وجميع مراحلها مع تهيئة الظروف الضرورية لذلك .

اللغة في حياة الامة :

اسمحوا لي بعد ابداء هذه الاحترازات الضرورية ان ابدأ اولا بالتحدث بايجاز عن **مكانة اللغة في حياة الامة :**

ان من يتتبع ماجريات الاحداث بمطالعة الصحافة العالمية قد اطلع ولابد على حركات عنيفة شغلت الصحافة واجهزة الاعلام العالمية في الشهور الاخيرة الى جانب الحوادث الدامية في الشرق الاوسط وفي الفيتنام . وهذه الحركات تتعلق باللغات القومية والمشاكل التي تنجم عنها :

1) في صيف 1967 قامت ضجة سياسة كبرى في العالم الغربي حين زار الرئيس ديغول « كيبك » في كندا وتحمس الناطقون باللغة الافرنسية الى تثبيت كيانهم اللغوي وما يتبع ذلك من تحديد وتوكيد شخصيتهم القومية والسياسية الافرنسية .

2) في الهند قامت مظاهرات صاخبة ودموية مؤخرا حول اللغتين الهندية والانكليزية . فهناك فئات في الهند تتكلم بغير الهندية وهي لذلك تتمسك باللغة الانكليزية كلغة رسمية للبلاد وتتظاهر ضد اللغة الهندية . وهناك فئات تتكلم بالهندية وتريدها ان تكون اللغة الرسمية للبلاد فهي تتظاهر ضد اللغة الانكليزية. ولم يرض اي الفريقين على سياسة الحكومة التي قررت ان تكون اللغتان الهندية والانكليزية رسميتين .

3) في بلجيكة استقالت الوزارة وحل مجلس النواب من جراء المشاكل الناجمة عن الصراع بين المتكلمين بالفرنسية والمتكلمين بالفلمندية . ولا تزال الازمة قائمة على ما نعلم .

4) في القدس المحتلة قررت اسرائيل فرض تعليم العبرية على أبناء العربية من مسلمين ومسيحيين .

هذه أمثلة من بقاع العالم المختلفة تدلنا على ان اللغة تلعب اليوم دورا خطيرا بين بني البشر في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية .

ان الروابط النفسية التي تدخل في تكوين شخصيات الشعوب والكتل البشرية المستقلة هي روابط العنصر والدين والقومية . واللغة تلعب دورا اساسيا في تكوين كل من هذه الروابط ولاسيما في الرابطة القومية . فاللغة وما تحمله من ثقافة هي الاساس في الرابطة القومية . هذا وان الرابطة العنصرية قد فقدت اهميتها في العصر الحديث بعد اندحار النازية في الحرب العالمية الثانية وبعد ثبوت بطلان نظرية الرس بسبب تمازج العناصر والتلاقح فيما بينها الامر الذي جعل موضوع نقاوة الدم والعنصر خرافة تقريبا . أما رابطتا الدين والقومية فما تزالان قائمتين في العالم اليوم . والرابطة القومية التي هي رابطة الثقافة واللغة هي اكثر الروابط انتشارا بين أمم الارض اليوم . هذا وان اسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم اليوم التي تبني كيانها على الاسس العنصرية والدينية والقومية معا .

اللغة هي المقوم الاساسي للرابطة القومية . وبها تتميز شخصية أمة عن أخرى . ولذلك فهي عنصر اساسي في تكوين الذاتية القومية وانيتها . فاذا قلت انا فلان . فمعنى ذلك اني أنتمي الى الامة الفلانية وان لي شخصية تتكون من جسدي وعقلي وروحي . فالجسد حصلت عليه بالوراثة البيولوجية عر طريق آبائي واجدادي . أما الفكر والروح فهما ارثان اجتماعيان مظهرهما اللغة والدين معا . فاحترام ابناء اي قوم لشخصيتهم وذاتيتهم يتطلب احترامهم للغتهم واعتزازهم بها . فمن أعز لغته القومية اعز ذاتيته وشخصيته ومن تهاون فيها أو اذلها فانما يذل شخصيته القومية وكرامته الانسانية . هذه حقائق معروفة ومعمول بها في كل البلاد المتمدنة اليوم . أما البلاد التي تخلصت من ربقة الاستعمار حديثا فانها تعرف حق المعرفة ان الاستعمار كان يحاول طمس شخصية الامة المولى عليها واخضاع شخصيتها لشخصية الامة المسيطرة وذلك عن طريق نشر لغته واعلاء شأنها والازدراء والاهمال للغة القومية للشعوب المولى عليها .

لقد كان لي دور متواضع في لجنة الوصاية في مؤتمر سان فرانسيسكو سنة 1945 حيث كتب ميثاق منظمة الامم المتحدة . فبعد ان نجحنا في درج حق الامم المولى عليها بالحكم الذاتي والاستقلال في صلب ميثاق الامم المتحدة بادرت بالسعي لادخال نص في الميثاق يضمن حماية الثقافة القومية (وفي مقدمتها اللغة القومية طبعا) للشعوب المولى عليها . معتبرا ان اللغة القومية الى جانب الدين تمثل الكيان الشخصي والقومي للبلاد التي كنا نجاهد من اجل تحررها واستقلالها . وقد نجحت في الامر اذ وضع نص في ميثاق الامم المتحدة يلزم الدول المستعمرة ان تحترم وتنمي الثقافات القومية للشعوب المولى عليها . ولن أنسى اني اثرت حفيظة الزميل الفرنسي في لجنة التدوين حين اكدت عروبة الجزائر . فانه سامحه الله قد هاج وماج وصرخ صرخة مدوية محتجا بأن الجزائر هي جزء من الوطن الام فرنسا . فما كان مني الا أن قابلته ببرودة دم وقلت له عفوا يا سيدي ان الجزائر بلد عربي مسلم يعتز بعروبته واسلامه . ومضت اللجنة في صوغ المواد المطلوبة من الميثاق وانتهى الامر .

اللغة ايها السادة هي عنوان شخصية الامة ومظهر كرامتها ومعيار حضارتها . فان ارتقت اللغة وازدهرت فذلك دليل على ان الحضارة قد ارتقت . وان ذبلت اللغة أو اهملت فذلك دليل على ان شخصية الامة قد ذبلت وانحطت .

ان التفاعل والتلاقح بين اللغات امر طبيعي محمود على أن يكون على اساس الاحترام المتبادل

والاعتزاز باللغة القومية . اما تفضيل لغة على اخرى ومسخ اللغة القومية بحشوها بالفاظ من اللغة الاجنبية او باهمال استعمالها فهو « تبعية ثقافية » وهو تنفيذ لادارة المستعمر الذي سبق ان جاهدنا فتحررنا منه . وهذا ما يأباه كل مواطن حر . فما نريده لامتنا وللغتنا هو « التعاون الثقافي » مع اللغة الاجنبية وليس « التبعية الثقافية » . وقد يكون من السهل الانزلاق من التعاون الى التبعية عن غير قصد او وعي . وهذا ما يجب ان يحذره الغياري من ابناء العربية في كل مكان .

ان عالم اليوم هو عالم تعاون وتبادل مصالح وليس عالم استيلاء وسيطرة . ولئن صدق هذا في حقل السياسة والاقتصاد فانه يصدق ايضا في حقل الثقافات واللغات . ولكن نزعة « تنازع البقاء وبقاء الاصلح » لا تزال موجودة عند الدول الكبرى في نظرتها الى ثقافتها . فهناك حروب ثقافية خفية احيانا تحاول امة بها الاستيلاء على ثقافة امة اخرى . كما تحاول امة ان تتباهى بلغتها وثقافتها على لغات وثقافات الامم الاخرى ولقد عمد بعض علماء اللغة ومحبي السلام في اختراع لغة عالمية « كالاسبرانتو » او « الايدو » لاحلال السلام بين اللغات والثقافات فلم تفلح هذه اللغات ذلك لان الرابطة القومية هي رابطة قوية والامة تعتز باللغة القومية . ولذلك فاصبح من الضروري الاعتزاز باللغة القومية من جهة وتوسيع الافق الانساني بتعلم لغات اجنبية واحدة او اثنتين او اكثر من الجهة الاخرى . وهذا ما ندعو اليه .

مكانة اللغة العربية :

ان اللغة العربية هي لغة مائة مليون نسمة على الاقل وهؤلاء يعيشون في البقعة الممتدة من خليج البصرة شرقا الى المحيط الاطلسي غربا . ومن جبال طورس وجبل الطارق شمالا الى جنوب السودان والصحراء الافريقية والمحيط الهندي جنوبا . وهناك خمس عشرة دولة مستقلة تتكلم بالعربية اليوم . وفوق ذلك فالعربية هي لغة الدين الاسلامي لغة القرآن الذي يقدسه ما يزيد على خمسمائة مليون نسمة كلهم يستقون من معين القرآن . ولذلك ولاهميتها الامية فقد اصبحت من اللغات العالمية الرسمية المعترف بها في اليونسكو واخذت البلاد الشرقية والغربية الراقية تعنى بتدريسها في جامعاتها اليوم .

هذا وان اللغة العربية لم تكن لتعيش وتنتشر لولا الاسلام ولولا فضل القرآن عليها . فالاسلام كان وما يزال قوة رافعة في تحرير الشعوب الاسلامية من براثن الاستعمار . كما انه حافز قوي على البناء الاجتماعي والاخلاقي السليم . فبالاسلام حافظت اقطار المغرب العربي الكبير على كيانها السياسي . وبروح الاسلام قام المجاهدون الابطال في هذه الاقطار بتحرير بلادهم . ان لغة هذا شأنها تحملنا على التفكير جديا في مسؤولياتنا ازاءها اي ازاء ذواتنا وانفسنا . اذ ما اللغة سوى مرآة حياتنا ومظهر نفوسنا .

واسمحوا لي ان اسرد قصة جابهتها حول موقع اللغة العربية في تاريخ الحضارة الانسانية . اظنكم تتذكرون جميعا ان المانية النازية كانت تؤمن بمبدأ التفوق العنصري وان العنصر الآري في نظرها هو سيد العناصر وليس فوقه احد . وفي ذات يوم قبل الحرب العالمية الثانية جاءني مسؤول الماني يطلب مني مقالا اعرف فيه الامة الالمانية بالامة العربية لينشر في احدى المجلات الالمانية . شعرت بهذه المناسبة ان الواجب الوجداني يدعوني ان اصارح هؤلاء القوم اي النازيين بالحقيقة . وهي ان التاريخ لا يعرف حضارة تتسم بالسمو والشمول والاستمرار كالحضارة العربية الاسلامية التي تحويها اللغة العربية . فالحضارات الانسانية المختلفة قد تبرز وتتفوق كل واحدة منها في ناحية من نواحي الحياة ولمدة من الزمن محدودة ثم تغيب عن الوجود . فهذه حضارة اليونان عنيت بالفكر الانساني . وهذه حضارة الرومان عنيت بالتشريع والعمران . وهذه الحضارة الانكليزية عرفت بالتجارة واقتحام البحار وبالروح الرياضية . وهذه الحضارة الافرنسية عرفت بالتفوق بالآداب والفلسفة والمنطق والفن في الحياة . وهذه الحضارة الالمانية عرفت بالتفوق التقني والفلسفي . وعرفت الحضارة الايطالية بالتشريع وبالفنون الجميلة . الى ما هنالك من حضارات قديمة او حديثة شرقية او غربية . فكل منها يعالج ناحية من نواحي الحياة ويمتاز فيها على حساب نواحي اخرى . اما الحضارة العربية ـ الاسلامية التي تحملها وتحويها اللغة العربية فانها عنيت بنواحي الحياة كلها . فانها عنيت بأسمى معاني الانسانية . فهي اولا حضارة روحية واخلاقية ثم انها حضارة تشريع ثم انها حضارة فلسفة وفكر متفتح . ثم انها حضارة علمية درست الطبيعة والانسان دراسة تجريبية . ثم انها حضارة آداب وفنون جملية . ثم انها حضارة صناعة وتجارة . فاللغة العربية تحمل ثروة من الثقافة الانسانية لا تنضب . وما تزال دراسات المستشرقين ومن تتلمذ عليهم من المسلمين تخرج لنا كنوزا جديدة ثمينة من

التراث العربي الاسلامي تنشر فى اللغات الاجنبية . واللغة العربية تحوي كل هذه الكنوز . لقد بهت النازيون بالمقال الذي اعددته لهم . فانه جاء مزعجا ومسخفا لكبريائهم . هذا ما قلناه للنازيين وهو كلام حق لا التواء فيه . ولكننا من الجهة الاخرى يجب أن نعترف بأن الامة العربية ومعها اللغة العربية قد تخلفت عن الركب الحضاري فى العصر الحديث . وما ذلك ذنب اللغة ولا لقصور فيها . ولكنها محنة العروبة التي نعيشها اليوم : انقسامات وصراع داخلي ، وغزو خارجي ، وفقدان الربان الحكيم فى معظم الاحوال قد أخر الامة العربية عن ركب الحضارة الانسانية فتأخرت اللغة فى تأدية المفاهيم العلمية والتقنية الحديثة .

وها هي الامة العربية اليوم تجابه العالم من جديد . فان العرب قد تيقظوا على أصوات مدافع المستعمر فى النصف الاول من هذا القرن . ولما أزيح كابوس الاستعمار سياسيا ترك وراءه الاخطبوط الصهيوني . فلابد للعرب من جمع الشمل واليقظة الجديدة للمساهمة فى انشاء عالم جديد . عالم تزدهر فيه العربية فى حقل العلوم والصناعات ازدهارها فى الحقل الروحي والفلسفي والادبي . فازدهار اللغة العربية مرتبط ارتباطا مباشرا بازدهار الامة العربية وحضارتها . كما انها ذات صلة وثيقة بالدين الاسلامي وبمستقبل الاسلام فى العالم .

حاضر اللغة العربية :

1) هناك نهضة علمية مباركة فى العالم العربي اليوم وذلك لتوفر مئات العلماء والفلاسفة العرب فى انحاء المعمورة . ويؤسفني كثيرا أن اقول ان نخبة من هؤلاء العلماء هم بعيدون عن بلادهم ويدرسون ويبحثون بلغة غير اللغة العربية . أتذكر اني تعرفت فى باريس قبل ثلاثين سنة على أستاذ تونسي كان يدرس الطب فى جامعة باريس . واحسب ان الكثيرين منكم لا يعرفون ان أول من أجرى عملية جراحية على القلب وبرع فى جراحة القلب هو طبيب أميركي من أصل لبناني هو الدكتور « دبكي » واسمه اللبناني (دبغي) . وأظن الكثيرين منكم لا يعلمون ان أول طبيب اكتشف طريقة علمية لتشخيص مرض السرطان هو طبيب عراقي يعيش فى أميركا اليوم . وأظن الكثيرين منا لم يسمعوا باسم المرحوم الصباح اللبناني الذي اخترع عشرات الادوات الكهربائية فى أميركا . وأظنكم لا تعلمون ان اخصائي فى فلسفة ابن خلدون هو أستاذ عراقي يدرس فى جامعة شيكاغو فى الولايات المتحدة الامريكية. وان عديدين من أساتذة الاقتصاد والسياسة والزراعة والرياضيات العرب يعيشون فى أميركا ويقومون بالتدريس فى جامعاتها وينجزون الابحاث العلمية فى مختبراتها . كل ذلك بلغة غير عربية . عاد هؤلاء السادة الى بلادهم وتيسر لهم الجو الصالح للبحث العلمي وقاموا بنشر أبحاثهم باللغة العربية الى جانب نشرها باللغة الاجنبية لاحتلت العربية مقاما علميا عالميا اليوم (1). فالعرب يأخذون العلم من الغرب كأبناء الغرب انفسهم وهم ليسوا أقل منهم ذكاء او انتاجا **لو تساوت الظروف** . فما على الامة العربية وقادتها اذن الا أن يهيؤوا الظروف المادية والمعنوية لابنائهم العباقرة ليقدموا الخدمات المطلوبة للغتهم وحضارتهم وللانسانية جمعاء .

2) تعريب التعليم عن المشرق العربي : أذكر هنا بأن معظم اقطار المشرق العربي كانت خاضعة للحكم العثماني الى نهاية الحرب العالمية الاولى . وكان التدريس فى مدارسها باللغة التركية وكانت اللغتان العربية والفرنسية تدرسان كلغتين اضافيتين. فقد كانت التركية هي لغة الدولة الرسمية آنذاك فلما بدا الحكم الوطني فى العراق مثلا بدانا بتعريب التعليم الابتدائي فورا . ثم اعقبتها الدراسة الثانوية وقد استعنا بكتب مصرية فى بادىء الامر . ثم قمنا بوضع كتب عراقية .

أتذكر أنا كنا جماعة صغيرة تجتمع قبل أربعين سنة بالضبط فى دار الاستاذ ساطع الحصري وكنا نتباحث فنتفق على المصطلحات فى التاريخ الطبيعي أو الفيزياء أو الكيمياء أو فى علم النفس . وكانت الكلمات الجديدة تعرض على المدرسين ومؤلفي الكتب الدراسية ليقوموا باستعمالها أو للاعتراض عليها . هذا ولم نجد فى العراق اية صعوبة تذكر فى تدريس جميع فروع الدراسة الثانوية بالعربية مع تعريف الطلاب بما يقابل تلك المصطلحات باللغة الاجنبية .

3) حمل المدارس الاهلية والاجنبية على الاهتمام باللغة العربية وبالدروس القومية : ان قانون المعارف العامة فى العراق يحتم على كل المدارس الاهلية والاجنبية ان تطبق البرنامج الرسمي فى تدريس اللغة العربية والتاريخ والجغرافية والواجبات الوطنية باللغة

(1) يعمل المكتب الدائم الآن على الاتصال بمجموعة من هؤلاء العلماء لتجديد روابطهم مع اللغة العربية فى الحقل العلمي وهو يكاتبهم ويستشيرهم كخبراء فى مختلف شعب العلوم

العربية على أن يقوم بذلك مدرسون تصادق على مقدرتهم وزارة المعارف . كما أن على كل عراقي يدرس في الخارج ان يجتاز امتحانا باللغة العربية قبل أن تعادل شهادته .

4) ان الدراسة في الجامعات العراقية تكون باللغتين العربية والانكليزية وذلك حسب توفر الاساتذة وحسب فروع الاختصاص . فالاستاذ العربي يدرس في كلية الحقوق او كلية الاداب او كلية التربية باللغة العربية . والاستاذ الاجنبي يدرس باللغة الانكليزية والتدريس في كليات العلوم والطب والهندسة والزراعة هو باللغة الانكليزية على الاكثر . هذا ولا بد للدراسة الجامعية الحق من اتقان لغة اجنبية واحدة على الاقل .

5) تعريب اطارات الدولة : لقد سارعت الحكومة العراقية منذ بداية الحكم الوطني بتعريب الجهاز الحكومي واجبرت اطارات الدولة على تعلم اللغة العربية في صفوف مسائية . وهكذا بدأت الادارة ثم الجيش ثم البريد كلها تتعرب وكانت الصحافة من العوامل الفعالة في تشجيع حركة التعريب .

6) الترجمة الى العربية : في المشرق العربي حركة ترجمة واقتباس واسعة وسريعة للكثيرين من الكتب الادبية والفلسفية وبعض الكتب العلمية التي تصدر باللغة الافرنسية او الانكليزية او الالمانية . ومع أن هناك بعض المآخذ على ما ينقل وينشر بسرعة فائقة الى العربية الا ان العملية تبرر نفسها نظرا لانتشار الثقافة السريع في البلاد العربية من جهة ووفرة الانتاج الفكري العالمي من الجهة الاخرى . وان ما نرجوه هو تعاون وتنسيق بين ما يترجم الى اللغة العربية بين الاقطار العربية المختلفة . وهأنا اذكر لكم على سبيل المثال اني وجدت في دكان كتبي في الدار البيضاء في صيف 1967 كتابا ترجم من الانكليزية الى العربية حديثا قام بترجمته الاساتذة دكتور عبد الحميد السيد والدكتور نجيب اسكندر ابراهيم والدكتور محمد الهادي عفيفي ولكن هذا الكتاب سبق ان ترجمته انا في بغداد قبل اربعين سنة بالضبط ونشره الاستاذ ساطع الحصري . وهناك كتاب صدر في العراق في فلسفة التربية نقله الى العربية الاستاذ الدكتور عبد العزيز البسام واذا به يترجم وينشر في مصر بعد سنوات . وقد اطلعت على كتاب ترجمه اساتذةعراقيون حديثا في فلسفة التربية . مع أن الكتاب قد ترجمه استاذ سوري وطبع في مصر قبل اربعين سنة . وهلم جرا .

اذن فهناك ضرورة للاتصال والتعاون بين البلاد العربية . لا تعجبوا اذا قلت لكم اني لم اجد في المغرب آنذاك بعض ما نشر في تونس من المؤلفات ! البلاد العربية تحتاج الى شرايين حية يجري فيها دم الحياة ولابد لنا من أن نتخلص من داء تصلب الشرايين الذي ورثناه من عهود التخلف . (Scléroses)

7) المجامع العلمية : ان المجامع العلمية في الشرق العربي قامت بخدمات جليلة احيانا في حقل اللغة ووضع المصطلحات . ولكنها ترمي احيانا بالبرجماجية وبطيء الانتاج وقلة الاتصال بالجمهور المثقف في العالم العربي . ان المجامع العلمية يجب ان تنزل الى ميدان الحياة وان تتصل بالناس وبالهيئات الثقافية اذا شاءت أن تؤدي وظيفتها على الوجه الاكمل وهنا ايضا نشكو من قلة الاتصال والترابط بين ابناء البلاد العربية . فما يصدره المجمع العلمي في بغداد او المجمع العلمي في دمشق مثلا لا يصل الى تونس ولا نعرف عنه شيئا .

ولقد سررت في صيف 1967 بزيارة « المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي» في الرباط الذي يديره الاستاذ الفاضل عبد العزيز بنعبد الله وان هذا المكتب ليسدي خدمات جليلة في اعلاء شأن العربية وهو جدير بأن يحظى بالمؤازرة والتأييد الضروريين من قبل الجامعة العربية ومن قبل الهيئات العلمية واللغوية في كل الاقطار العربية .

8) ان المجلات العلمية والادبية هي من افضل الوسائل لانتشار اللغة العربية والربط بين رجال الفكر في العالم العربي . فهناك عدد لابأس به من المجلات يصدر في مصر ولبنان والعراق والاردن وليبيا وتونس والمغرب وكله من النوع الذي يقدم للقارىء افكارا جديدة بقوالب مقبولة الى الجمهور العربي . فمجلة الفكر التونسية مثلا ذات مستوى رفيع وكذلك حولية الجامعة التونسية التي يصدرها الاستاذ المنجي الشملي . وانا لنرجو لصحيفة الثقافة في جريدتي العمل والصباح النمو والاستقلال فهي تحمل مادة دسمة عادة .

9) ان الاذاعة والتلفزة باستخدامها العربية تقدم للشعب ثروة لغوية ترفع من مستواه الثقافي والادبي كما انها تعمل على توحيد الامة العربية . فالاذاعة

التونسية مثلا تقوم بخدمة مزدوجة . فانها باستعمالها اللغة « العروية » وهي التي يستعملها الاستاذ عبد العزيز العروي ترفع من مستوى التونسية الدارجة وتقربها من الفصحى المبسطة وهذه خدمة تستحق التقدير . ثم ان اذاعة المحاضرات والاخبار بالفصحى يعود السامعين على تفهم لغتهم القومية الرفيعة ويساعد على انتشارها .

10) من أعظم مقومات اللغة العربية مواعظ الائمة فى المساجد ولاسيما أيام الجمعة . فصلاة الجمعة عدا فوائدها العظيمة من النواحي الروحية والاجتماعية والاخلاقية فهي فرص لسماع أرقى ما وصلت اليه العربية : لغة القرآن والحديث . ومن المؤسف والمحزن حقا أن اكثرية الفئة التي تدعي بأنها متثقفة تعزف عن اداء فريضة الجمعة وفى هذا العزوف خسارة روحية وانسانية وقومية لا تقدر .

11) وأخيرا اود أن اشيد بالفوائد القوميةواللغوية التي تسديها فرقة الرشيدية للموسيقى التونسية . فهذه الفرقة باحيائها التراث الموسيقي والادب الاندلسي تحبب العربية الى السامعين وتدخلها فى عقولهم وقلوبهم .

ان هذا الاستعراض السريع لواقع اللغة العربية يدلنا على أن العربية بخير والحمد لله . فهي سائرة فى طريق البعث والانتشار ، ولكن ليس بالسرعة المطلوبة ولا بالشكل المرتجى . ولكنها سائرة فى طريق الحياة طريق النمو والتطور بكل تأكيد .

حماة العربية وغزاتها

والآن نعود الى التعرف على حماة اللغة العربية وعلى غزاتها . من هم حماة اللغة العربية ؟ ان حماة اللغة العربية هم كل الذين يغارون على اللغة العربية فيستعملونها فى حياتهم اليومية ويعملون على الرفع من شأنها ونشرها بين الناس . ولكن الحماة هؤلاء يختلفون من حيث العقلية والمستوى والاسلوب . وهانا أود أن اشير الى أصناف ثلاثة من حماة العربية .

الصنف الاول هم **المتزمتون** وهم نفر من علماء العربية فى اللغة أو القواعد او الكتابة من المتصلبين فى آرائهم المتمسكين بالقوالب والقواعد القديمة لا يسمحون بأية زحزحة أو تطور فى اللغة . وفى رأي هؤلاء قل من يحسن القراءة والكتابة او الخطابة فى العربية فيمن عداهم . اذكر مرة اني نشرت بحثا فى التربية والتعليم فى بغداد قبل نحو من ثلاثين سنة . فانبرى لي احد اساتذة العربية فانتقد ما كتبته من حيث اللغة والاسلوب فى تسع مقالات فى احدى الجرائد اليومية . ولما كنت غير مؤهل للاجابة على مقالات الاستاذ لاني لست من علماء العربية تبرع استاذ اكبر منه فى العربية فانتقد عربية استاذ العربية الذي انتقدني فى تسع مقالات ايضا وبرهن له على ان معرفته بالعربية ليست بأحسن كثيرا من عربيتي التي انتقدها.

المتزمتون فى اللغة لا يخلو منهم بلد عربي لحسن الحظ . أقول لحسن الحظ ذلك لان هؤلاء السادة يقومون بدور الخفير اليقظ الذي يحرس العربية الاصيلة ويحافظ على التراث القومي . ولكن العربية لا يمكن أن تتقدم وتتطور لو بقيت بأيدي المتزمتين وحدهم . والمتزمتون هؤلاء قد يسببون تثبيطا للهمم ويوجدون اعذارا للكسالى الذين يتقاعسون عن تعلم العربية بحجة انها لغة صعبة لا يتقنها انسان كما انهم يزودون أعداء العربية بسلاح يستخدم ضدها أحيانا . وقد خطر لي أن اشبه المتزمتين بالطبقة « الارستقراطية » فى عالم اللغة .

الصنف الثاني من الحماة : هم العلماء الميسرون فهؤلاء يعملون بالشعار الاسلامي المأثور « رب يسر ولا تعسر » . ان هؤلاء الاساتذة يقدرون تطور الازمان من جهة كما انهم يقدرون تخلف الامة العربية ثقافيا فى الظروف الراهنة من الجهة الاخرى . ولذلك فهم يدعون الى تيسير العربية وتسهيلها من حيث القواعد ومن حيث التكلم . فانهم من جهة يدعون الى تشذيب القواعد العربية وحذف الكثير من الاغصان اليابسة منها . كما انهم يدعون الى التساهل فى لغة الحديث ويسمحون باستعمال اللغة الوسطى وهي اللغة الفصحى المبسطة التي تسكن فيها أواخر الكلمات . وكان شاعر العراق الكبير المرحوم معروف الرصافي أول من استعمل مصطلح « اللغة الوسطى » يوم كان مفتش « متفقد » اللغة العربية فى وزارة المعارف العراقية ومن كبار الاساتذة الميسرين استاذي المرحوم العلامة طه الراوي فقد كان رحمه الله من اساتذة العربيةالعراقيين الذين خدموا اللغة العربية خدمة جلى عن طريق تبسيط قواعد النحو وحذف الكثير من الحشو منها . كما انه كان يسمح لطلابه بتسكين أواخر الكلمات اثناء الحوار . ومن شاء منكم التعرف على آراء المرحوم طه الراوي فليراجع كتابه « نظرات فى النحو واللغة » .

ان العربية الوسطى هي لغة التيسير وهي التي يستطيع كل عربي ان يستعملها ويفهم من الخليج الى المحيط .

ان استعمال اللغة الوسطى هو رد عملي على كل الذين يدعون بأن العربية صعبة وغير صالحة للاستعمال اليومي . وقد خطر لي ان أشبه العلماء الميسرين فى العربية بالطبقة البورجوازية فى اللغة .

اما الصنف الثالث من الحماة فهم الذين ليسوا من علماء العربية . ولكنهم من ابنائها فهم يستعملون العربية فى حياتهم اليومية فى الكتابة والتأليف والترجمة والتدريس والتجارة والصناعة فى البيت وفى المعمل وفى الدائرة وفى الحقل وفى الحافلة وفى كل مكان . ان هؤلاء ليسوا من علماء العربية واللغة ليست في حقل اختصاصهم ولكنهم يحبون لغتهم ويريدون خدمتها واثراءها وانتشارها . فهؤلاء يقومون بنقل وتداول الافكار الجديدة بالعربية ويعملون على نقل الكتب والمقالات علمية كانت او فلسفية او ادبية او تقنية الى اللغة العربية . فآلاف الكتب قد ألفت فى العربيةوترجمت اليها فى الفلسفة والعلوم الطبيعية والاجتماعية والاداب والفنون فى المائة سنة الاخيرة . قام بذلك اناس درسوا فى الشرق وفى الغرب . ونقلوا ما تعلموه الى اللغة العربية . خذوا هذا المجلد كمثال « الفكر الفلسفي فى مائة سنة » بقلم جماعة من الاساتذة العرب اشرفت على اخراجه هيئة الدراسات العربية فىالجامعة الامريكية فى بيروت . ان هذا الكتاب يحوي قوائم بمئات المجلدات صدرت فى الحقل الفلسفي باللغة العربية فى المائة سنة الاخيرة .

لاشك فى ان البعض مما نقل الى العربية فيه ضعف او نقص نتيجة الاستعمال فى الترجمة او عدم اتقان العربية . كما ان بعض الترجمات فيها تزمت وتعقيد فهي ليست بالسهلة القراءة . ولكن حركة الترجمة والتأليف بالعربية تخدم العربية وتزيدها ثروة ثقافية . ان الذين يتثقفون بالثقافة الغربية اذا شاؤوا أن يبرهنوا عن اخلاصهم لامتهم ولغتهم ما عليهم الا ان يقدموا للعربية نتاج ابحاثهم ودراساتهم عن طريق الترجمة او التأليف . واني اميل الى تسمية هؤلاء « بالطبقة العاملة » فى اللغة العربية وقد تكون خدمتهم للغة اعظم من خدمة المتزمتين الارستقراطيين وعلى كل فهي ليست بأقل من خدمة الميسرين البرجوازيين .

اما وقد تحدثنا باختصار عن حماة العربية فلننتقل للبحث بايجاز ايضا عن « الغزاة » فغزاة العربية هم الذين يريدون نسفها من اساسها او الذين ينسبون اليها العقم وعدم الصلاح للحياة الجديدة حياة المادة فيعتبرونها رمز التخلف . ولذلك فهم يهملون استعمالها ويتبجحون باستعمال لغة اجنبية بدلها . وها نحن فيما يلي نشير الى بعض هؤلاء الغزاة فهم اصناف عديدة ومعظمهم ليسوا غزاة من الخارج بل غزاة من الداخل من ابناء العربية نفسها وان كانوا يشربون من كأس اجنبي .

1) نبدأ بالدعاة الى العامية والليتنة : هناك دعوة جاءت من أعداء العروبة والاسلام قديما دعوة يقصد بها ايجاد الشقة بين المسلمين وبين قرآنهم . كما يقصد بها تفريق الامة العربية الى قوميات عديدة متقطعة متقاطعة . وهذه الدعوة تفصح بالرجوع الى اللغة العامية والكتابة فيها وترك الفصحى ثم استبدال الحروف العربية بالاحرف اللاتينية وهو ما يدعى بالليتنة. ان هذه الدعوة قد باءت بالفشل دوما ولم تلق آذانا صاغية من ابناء العروبة فى اي بلد عربي . ولكنها كفكرة بقيت تخالج البسطاء او المتهوسين بين الحين والآخر. أظنكم مطلعين هذه الايام على معركة فكرية حامية الوطيس مستعرة فى لبنان نقرأ عنها فى الجرائد الاسبوعية كملحق النهار وفى جريدة الحياة . وهي ان أحد الادباء اللبنانيين قد نشر كتابا **باللهجة العامية وبالاحرف اللاتينية** . ان هذا الكتاب لم يلق من يقرؤه على ما يظهر ولذلك فقد عاد الاديب يكتب بالفصحى وبالحروف العربية ليدافع عن نفسه . انا أعرف بأن هناك من ابناء الشعب من لم يسعدهم الحظ لينالوا الثقافة الكافية فينظمون الشعر بالعامية . وشعرهم لا يخلو من عواطف نبيلة وافكار جميلة احيانا . ولكن هذه مرحلة وقتية وسوف تزول بانتشار اللغة الفصحى المبسطة وهي لا تتناول الا جزءا ضئيلا من حياة الامة. اما الذين يدعون الى جعل اللغة العامية لغة الثقافة والحياة العامة فانهم يهرفون بما لا يعرفون . باية لهجة عامية تكتب وكم عدد اللهجات العامية الموجودة فى كل بلد . انا أعرف ان فى العراق مثلا ما لا يقل عن ست لهجات عربية عامية . فلاهل الموصل لهجة والفاظ تختلف كثيرا عن لهجة اهل بغداد والفاظهم . فهل نجزىء العراق الى اجزاء لغوية ونطبع لكل كتاب طبعات باللهجات المختلفة ؟ وهل البشرية اليوم تسير فى سبيل الترابط والاتصال ام فى سبيل العزلة والانفصال ؟

اما الكتابة باللاتينية فهو امر لا يتفق مع روح اللغة العربية ابدا : ومن النماذج الطريفة فى هذا البابكتاب وقفت عليه مؤخرا وهو « مختارات فى الادب العربي » طبع بالاحرف اللاتينية وضعه الاستاذ يواكيم مبارك وفق طريقة ابتدعها نيافة الكاردينال يوجين تيسران

عضو المجمع العلمي الافرنسي . ان من يطلع على هذا الكتيب من ابناء العروبة يسارع في الحكم بأن هذا الكتاب يجعل من الكتابة العربية شيئا اصعب كثيرا واعقد مما هي عليه . كما انه يفقد الانسانية من فن هو من اجمل الفنون اعني به فن الخط العربي . كما انه يقضي على علاقة العرب بتاريخهم وفنهم وحضارتهم . وبهذه المناسبة اسمحوا لي أن أروي لكم هذا الحدث وهو انه : قبل اربع وثلاثين سنة كنت مديرا عاما لمعارف العراق (التربية والتعليم) فزارني المستشرق الانكليزي المعروف دنيسون روس Sir Denison Ross عائدا من ايران فحدثني عن مهمته هناك اذ كان قد ذهب الى ايران بدعوة من جلالة الشاه رضا بهلوي والد الشاهنشاه الحالي وكان جلالته قد دعا السير دنيس روس ليستشيره في استبدال الاحرف الايرانية وهي الاحرف الجميلة التي نعرفها بأحرف لاتينية كما كان قد فعل اتاتورك في تركية . فأجاب السر دنيس اذا كان في نية جلالتكم التخلي عن فنكم الجميل وتراثكم الحضاري الايراني لا بأس من تبديل الحروف اما اذا شئتم الاحتفاظ بالفن الايراني والتراث الحضاري الايراني فيجب الاحتفاظ بالخط الايراني . وهكذا اخذ جلالة الشاه بنصيحة الاستاذ البريطاني الكبير .

ان أعداء العروبة والاسلام لهم أن يدسوا ولهم أن يشوشوا قدر ما يشاؤون ولكن على ابناء العروبة والاسلام أن يكونوا حذرين .

2) نوع آخر من الغزاة هم من ابناء العروبة الذين يدرسون باللغات الاجنبية فيديرون اظهرهم على لغتهم العربية وذلك لعوامل شتى : منها ادعاؤهم بأن العربية لغة **متخلفة** وهي **غير صالحة للابحاث العلمية** الحديثة . أما انها متخلفة في المصطلحات التقنية ففي ذلك شيء من الحقيقة . ولكن ذلك يتطلب ازالة التخلف عنها باستعمالها والكتابة فيها لا تركها واهمالها . واما انها غير صالحة للابحاث العلمية فهو افتئات وجهل . فتاريخ اللغة العربية وازدهارها في العهدين العباسي والاندلسي خير رد على ذلك . فقد حملت اللغة العربية آنذاك كل العلوم والفنون والافكار الانسانية . ثم ان ما صدر من الكتب والترجمات في المشرق العربي في العلوم الطبيعية في المائة سنة الاخيرة يفند ادعاء من يدعي عدم صلاح العربية. هاءنا اعرض على حضراتكم كتابين حديثين احدهما « الحمل والولادة » للاستاذ الدكتور مصطفى الخالدي استاذ التوليد والامراض النسائية في الجامعة الامريكية في بيروت سابقا وهو مختصر فن التوليد للممرضات والقابلات . وكتاب « مغامرات العقل » ترجمة الدكتور « محمد فياض » وكلا الكتابين يمثلان كتبا علمية تقاس بافضل ما ينشر في اوربا واميركا من حيث الاسلوب والاخراج والروح العلمي . اذن فاللغة العربية قادرة على هضم الحقائق العلمية الجديدة . ولقد سرني ما سمعته مؤخرا من ان مهندسا فاضلا هو الاستاذ « ابن الشيخ » قد القى محاضرة نفيسة باللغة العربية عن الاقمار الصناعية . اعتقد ان هذه الامثلة كافية للرد على هؤلاء الغزاة الذين يصمون العربية بالعقم وعدم الصلاح للحياة العلمية الجديدة .

3) نوع ثالث من الغزاة هم اولئك السادة الذين نشأوا في عهد الاستعمار وكانوا في خدمة الحكومة آنذاك فانهم تعودوا على استعمال اللغة الاجنبية لغة السيد والحاكم فأصبحت اللغة الاجنبية بذلك لغة الخواص بينما اللغة القومية هي لغة العوام . واصبح عندهم المتمدن يعني استعمال لغة اجنبية ومن لا يستعملها فهو متخلف . فلغة الشعب « العربية » تصبح لغة التخلف . نحن في العراق ورثنا ارستقراطية حاكمة من العهد العثماني تتحدث بالتركية في حياتها العائلية ثم جاءت فئة تتحدث فيما بينها بالانكليزية او الافرنسية في البلاد العربية . اي انهم يحاولون فرض ارستقراطية جديدة على الشعب ارستقراطية تستعمل اللغة الاجنبية . ولكن الزمان قد تبدل وعهد الارستقراطيات في الحكم قد ولى الى غير رجعة . واصبحت الحكومات العصرية من الشعب واليه . فلابد للذين يتولون خدمة الشعب اليوم من ان يتكلموا بلغته اي باللغة القومية. اذن فعهد الغزاة هؤلاء مئته والاجدر بهم ان يعودوا الى حظيرة شعوبهم فيتكلموا بلغة الشعوب اي العربية .

4) غزو الشباب المتثقف باللغة الاجنبية هو اخطر انواع الغزو الذي المعنا اليه . فالمفروض في الشباب ان يكونوا حماة لقوميتهم حماة للغتهم . اذ هم رجال المستقبل وعليهم المعول . ولكن موجة من الانحلال والتراخي قد طغت على عديد من الشبان (والشابات بصورة خاصة) اذا صاروا يستعملون اللغة الاجنبية التي يدرسون بها في حياتهم اليومية بدل العربية وصار البعض منهم اذا ما تحدث باللغة العربية يحشيها بالكلمات والتعابير الاعجمية . كأن العربية قاصرة عن التعبير . وهم يحسبون ذلك تمدنا او تفكها . وما علموا ان ذلك يعني انحلالا في الكيان القومي وتراخيا خلقيا . ارجو ان يعلم الشباب المتثقف حق العلم ان التراخي في احترام اللغة القومية يشبه كثيرا من يتراخى في

تناول المسكر فانه سرعان ما يدمن على الشرب، وهذا يضعف الكيان الاخلاقي ويولد عدم الاكتراث بالمقدسات عامة . وهو ما يدعي في علم النفس « بالتكيف السلبي» فالشباب يتكيف سلبيا ازاء سلوك سيء يراه فلا يعود يكترث بوجوده ويتهاون في معالجته وهذا ما عبر عنه حكيم الشعراء أي الطيب المتنبي بقوله :

« من يهن يسهل الهوان عليه »

فارجو الا يبتلى ابناؤنا وبناتنا الاعزاء بداء التهاون باحترام لغتهم القومية وتكريمها . فللشباب ان يتعلم اللغة الاجنبية ويتقنها كل الاتقان وله ان يستخدمها في الدرس والمطالعة وله ان يتحدث بها مع الاجانب حين يجتمع بهم في بلده أو حين يسافر الى الخارج وفي نوادي اللغات التي تؤسس للتمرين على اللغة ولكن ليس من حق الشباب ولا يليق بكرامتهم ان يهينوا لغتهم القومية باهمالها في حياتهم اليومية واستعمال لغة اجنبية بدلها أو بتلويثها بالفاظ اعجمية لها ما يقابلها بالعربية . اذا كنت لا تعرف العربية فما عليك الا ان تتعلمها فهي لغة أمتك ولغة دينك . نحن من مشجعي تعلم اللغات الاجنبية واتقانها . تعلم ما استطعت من اللغات الاجنبية مثنى وثلاث ورباع . ولكن لغتك اولا ولا يجوز ان تغزو لغتك بتلويثها بالفاظ اجنبية لها ما يقابلها بالعربية . اسمحوا لي بهذه المناسبة ان اروي لكم حادثا فكاهيا حضرته في العراق قبل اربعين سنة تقريبا : كان احد الشبان العراقيين قد عاد من دراسته في انكلترا وضمني واياه مجلس من الاصدقاء فتحدث الشاب قائلا « اننا في لندن كنا نشرب الفايف أو كلوكتي في كل يوم » (أي نشرب شاي الساعة الخامسة كل يوم وكنا (نشرب التاي مع الميلك) اي نشرب الشاي مع الحليب ، فما كان من احد الاخوان الهزليين الا ان وجد اليه تنبلة صوتية مدوية من فمه وهي ما يعبر عنه في بغداد « ضربة بزيك » . فأضحك الحاضرين واخجل المتكلم فتاب ذلك الشاب وتأدب غيره من العائدين من الدراسة في الخارج فلم يعودوا يتحدثون فيما بينهم بغير لغتهم القومية .

مقترحـــــات :

أما وقد استعرضنا بايجاز الحماة والغزاة وحددنا موقفنا منهم فها نحن نبدي اقتراحاتنا بكل صراحة واخلاص :

1) نحن نعتقد بأن اللغة العربية هي لغة حية خالدة وهي في وسعها أن تصبح لغة الفكر والعلم والفن كما انها لغة الروح والخلق والتشريع . انها كائن حي ينمو ويتطور بنمو وتطور الشعوب التي تتكلم بها . ولذلك فيجب ان تكون اللغة العربية هي **اللغة السائدة** في الحياة وفي المجتمع وفي التعليم في كل البلاد الناطقة **بالعربية** .

2) نحن نعتقد أن اللهجات العامية الدارجة سوف تتطور وتتحسن في كل البلاد العربية وتتفاعل فيما بينها وذلك بفضل انتشار وسائط النقل الحديثة ووسائل الاعلام المنتشرة وتعميم التعليم الابتدائي وتعليم الراشدين . ونأمل **ان تلتقي اللغة الدارجة باللغة الوسطى** التي هي فصحى مبسطة في الاستعمال اليومي ، أما اللغة الفصحى بشكلها القرآني والادبي الخالد فهي الهدف الاسمى الذي يجب ان يسعى اليه كل مثقف ينطق بالضاد .

3) نحن ندعو الى **تيسير العربية** كتابة وقواعد وكلا ما على ان يستغني عن كل ما هو حشو وزائد . الكتابة العربية جميلة في حد ذاتها وهي مصدر فن جميل وعدم كتابة الحركات القصيرة (الفتحة والضمة والكسرة) تجعل العربية شبيهة بالاختزال وفي ذلك فائدة عظمى في الاستعمال ولاسيما في عصر السرعة . ولذلك وجب الاهتمام بتعليم الالفاظ ومعانيها قبل القراءة . بحيث نفهم الكلمة من المعنى . فحين نكتب « ركب زيد الجمل » لا يمكن ان نقرأ « الجمل » جمل لان الجمل يركب و « الجمل » لا تركب . وعلى كل فنحن ندعو الى تأليف **لجان من اساتذة التربية والعربية** ليقوموا بتجاريب وابحاث حول تيسير تعليم العربية في مراحل التعليم المختلفة .

4) نحن نأمل ان تهتدي كتابات الدولة للتربية القومية في كل بلاد المغرب العربي الكبير الى **تعريب التعليم الابتدائي بالسرعة الممكنة** ذلك مع تدريس لغة حية واحدة لكل الاطفال الذين في وسعهم تعلمها . اي الذين يكون ذكاؤهم « متوسطا » اعتياديا فما فوق . فلا حاجة لتحميل الطفل ذي الذكاء دون الوسط بتعلم لغة اجنبية . **نحن نعتقد بان تعريب التعليم الابتدائي هو ضرورة تربوية ونفسية الى جانب كونه ضرورة قومية ودينية** فلا توجد أمة راقية في العالم اليوم تعلم التعليم الابتدائي بغير اللغة الام .

5) نحن نرجو الاهتمام بتدريس العربية في الثانويات لجميع الطلاب في جميع المعاهد . والاستعداد لتدريس العلوم بالعربية في الثانويات تدريجيا . على ان تعرب

الاجتماعيات كالتاريخ والجغرافية والفلسفة بالسرعة الممكنة . ولابد من التأكيد على اتقان لغة أجنبية واحدة أو اثنتين في الدراسة الثانوية .

6) نحن نرجو أن تصبح اللغة العربية لغةأساسية في التدريس الجامعي الى جانب اللغات الاجنبية ولا يجوز في رأينا قبول طالب مواطن الى الجامعة ما لم يكن اتقن العربية . كما لا يجوز تخريج شاب مواطن من الجامعة لا يستطيع استعمال العربية في حقل اختصاصه .

7) نرجو أن يشجع الطلاب وجمهور الشعب على التحدث بلغتهم القومية صافية . واستمرار الاذاعة والتلفزة والصحافة على القيام بعملها النافع في هذا الباب .

8) نرجو العمل السريع من أجل تسهيل تدريس العربية والتدرج في تعليمها من الدارجة الى الوسطى الى الفصحى . وعدم جعلها حملا يثقل كاهل الطفل بحيث يمجها ويتهرب منها . ولابد من ترويج الكتاب المحادثة الملونة وكتب الحكايات البسيطة الملونة والمجسمة بأسعار رخيصة للاطفال . كما نؤمل الاكثار من وضع الاناشيد والاغاني الجميلة للاطفال بالعربية بحيث يتمرنون بلغتهم الجميلة في أوقات فراغهم وفي أثناء تجوالهم .

9) نحن ندعو الى الاسراع بالترجمة من اللغات الاجنبية الى العربية في كل العلوم والفنون كما ندعو العلماء من أبناء الامة العربية أن يؤلفوا بلغتهم . ففي تونس مثلا نخبة ممتازة من الاساتذة الافاضل الذين برزوا في العلوم والآداب والفلسفة في أربا وهم يجيدون العربية اجادة تامة فالمأمول منهم أن يسارعوا بتغذية المكتبة العربية عن طريق الترجمة والتأليف وأن ينشروا ابحاثهم بالعربية والاجنبية في وقت واحد وأن لا يقتصروا على نشر ابحاثهم باللغات الاجنبية فقط . كما يجري في منشورات كلية الحقوق والاقتصاد وكلية الاداب ومركز الابحاث الاجتماعية . ان جعل المجلات العلمية ذات لغتين يكتب فيها بالعربية والافرنسية أو الانكليزية معا من الامور الممكنة والمألوفة في البلاد الغربية . فمجلات علمية عديدة في العالم تصدر بلغتين أو ثلاث . فلماذا تحرم الثقافة العربية من عبقرية الاساتذة التونسيين الافاضل ؟

10) نحن ندعو الى تأسيس مجامع علمية عربية في كل الاقطار العربية على أن تضم هذه المجامع نخبة الاساتذة الممارسين فعلا للتدريس والبحث . ومن مهام هذه المجامع وضع المصطلحات الجديدة وتشجيع التعريب والاتفاق على المصطلحات محليا ثم اقليميا ثم عربيا . ويسرنا دعوة الاستاذ فرحات الدشراوي لهذه الفكرة ذاتها فنحن نضم صوتنا الى صوته .

11) تعريب البيئة : ان كل البلاد التي رزحت تحت نير الاستعمار الاجنبي لا تزال البيئة في هؤلاء بالاسماء والعناوين والتعابير التي هي من مخلفات الاستعمار . وبهذه المناسبة أود أن انحني باجلال لذكرى صديقي العزيزين المجاهدين علي البهلوان والطيب المهيري . فاني أطلعت على كل الجهود الحميدة الطيبة التي بذلها المرحومان في سبيل تعريب البيئة واني لارجو ان يقوم الاخوان الكرام الذين خلفوا المجاهدين بالاستمرار على حمل مشعل التعريب . وأود أن أضرب السنما مثلا على ذلك . أنا قلما أذهب الى السنما في حياتي ولكني صادف أن ذهبت الى السنما مرة واحدة في تونس فوجدت نفسي في جو غريب من البداية الى النهاية . فالعربية لا تعرف لها منفذا الى دور السنما على ما يظهر . وأرجو أن أكون مخطئا . وتساءلت كم يكون جميلا لو كانت أسماء السنما مثل « سينما السرور » أو « سينما الحرية » أو « سينما الكفاح » أو « سينما النصر » أو سينما الحبيب » بدل أسماء أعجمية لا تمت الى ثقافتنا بصلة . وما يقال عن السنما يقال عن ظواهر أخرى من مخلفات الاستعمار أرجو الا يتكيف الشعب ازاءها تكيفا سلبيا . فلا يعود يكترث بها ولا يحس بثقل وطأتها.

العربية والاسلام :

تحدثت لحد الآن عن العربية بوصفها لغة قوميةيتكلم بها مائة مليون نسمة . ولكن علينا أن نتذكر دوما أن اللغة العربية هي لغة القرآن وهي لغة الاسلام وهي بذلك لغة انسانية عالمية . فالانسانية كلها تحتاج اليوم الى الهداية الاسلامية في كل مكان فلا الشيوعية العالمية ولا الراسمالية الصهيونية تضمن استقرار العالم وطمأنينته . فلابد للامة العربية من أن تحمل رسالة الاسلام : رسالة التوحيد والحق والاخاء الى الانسانية جمعاء . فالعربية التي نزل بها القرآن الكريم هي ملك الانسانية جميعا . وليست ملك العرب وحدهم والناطقون بالعربية يتحملون مسؤولية تاريخية كبرى لاداء رسالتهم الانسانية . أتذكر اني حضرت مؤتمر العالم الاسلامي بمكة المكرمة سنة 1965 وكان لي

شرف تراس اللجنة التربوية الثقافية فى ذلك المؤتمر . فاستمعت الى اخواني الافارقة من كل حدب وصوب يطالبون الدول العربية باساتذة لتعليمهم العربية وبكتب لاستعمالها لهذه الغاية . كما يطالبون بقبول طلبة من بلادهم ليأتوا الى الاقطار العربية لتعلمها . أما فى آسية فالحاجة الى اساتذة العربية كبيرة كذلك . وها هي الباكستان كادت تتخذ اللغة العربية لغة رسمية لبلادها لو تيسر لها العدد الكافي من المدرسين والاساتذة ولذلك فالامة العربية مدعوة للاهتمام بلغتها لا لنفسها فحسب بل للانسانية جمعاء . فمن واجب الامة العربية تكوين وتخريج اساتذة يعلمون الدنيا كلها رسالة القرآن ومبادىء العربية . ولنصغ الى العالم الهندي الكبير سماحة السيد ابي الحسن الندوي يقول فى خطاب له :

« ان مصير المسلمين فى كل بلد مرتبط بمصير العرب . فاذا عز العرب المسلمون واذا ذل العرب ذل الاسلام والمسلمون أولئك الذين لا اعدل بهم قوما ولا اعدل بكتابهم كتابا ولا اعدل بلغتهم لغة ولا اعدل بحضارتهم حضارة . على ذلك احيا وعلى ذلك اموت .»

ثم ينتهي بقوله :

« الاسلام هو الذي يربطنا بكم ويربطكم بنا . هذا الاسلام الذي نريد ان نلتقى عليه فتولوا قيادته من جديد . لقد بدأت من هذا ولكني اختم فاقول الى القيادة العالمية من جديد أيها العرب » . !

اني أضم صوتي الى صوت هذا العالم الجليل وهذا يتطلب العناية الفائقة بديننا وبلغتنا العربية المحبوبة والقضاء على عوامل التخلف والتفسخ المؤثرة على حياتنا اليوم . وادعو الله جل وعلا بأن يوفق العرب فى كل مكان بأن يكونوا من حماة العربية ومن حاملي رسالة الاسلام الى الانسانية جمعاء . ولنذكر دوما قوله تعالى : « انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » (1).

---

1) الزخرف 2

نداء إلى أصحاب الخزائن والمكتبات الثقافية والعلمية

لقد شرع المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي منذ سنتين فى تدوين موسوعة على صعيد المغرب العربي تتضمن التعريف بالحضارة المغربية وبلورتها على حقيقتها ، وقد الف لذلك شعبة بالمغرب الاقصى كما دعا الى تأليف شعب اخرى باقطار المغرب العربى الاخرى، وقد قطعت شعبة المغرب اشواطا بعيدة فى مراجعة جميع المصادر الموجودة بالخزانة العامة بالرباط باللغات العربية والفرنسية والانجليزية والالمانية، وتعمل الآن على استجلاء ما بقي من المصادر الموجودة فى الخزائن المغربية الرسمية الاخرى ، ولكنها فى حاجة الى الاطلاع على ما بقي من المصادر والوثائق بالمكتبات والخزائن العلمية التي هي فى ملك رجال يهتمون بالثقافة والعلم ، وكم تكون شعبة المغرب فى هيئة موسوعة المغرب العربي ممنونة لهم اذا ما تفضلوا فزودوها بلوائح لما يوجد لديهم من وثائق ومصادر حضارية على انهم سيكونون بذلك من المساهمين فى هذا المشروع العلمي الجليل الذي تعود فائدته على بلاد المغرب العربي خصوصا وعلى البلاد العربية والاسلامية عموما .